قراءة في آية الهجرة في سورة التوبة (دراسة تحليلية)

أ.م.د. مروان صباح الأعظمي

كلية الآداب/ قسم علوم القرآن

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله: أصحابه، وأزواجه، وأحبابه، ومن والاهُ، وسار على هديه إلى يوم الدين... وبعد،

فما زالت الهجرة النبوية الشريفة؛ ذلك الحدث العظيم الذي غيّر مجرى حياة الأمة الإسلامية التي أعزها الله ﷻ تطلُّ علينا بأسرارها السنية، وتشرق بأنوارها البهية... وما زالت ذلك النبع الرقراق الذي يفيض علينا من منهله العذب، ومعينه الصافي بأبلغ العبر والعظات... وما زلنا نستقي منها الدروس البليغة في التحمّل والصبر... فهي نبراسنا الذي نستضيء به في مواجهة لأواء الطريق وأشواكه، وفي المضيّ قُدُماً وسط دياجير الظلام، وغياهب الجهل، وجور الطغاة؛ من الذين راموا لهذا الدين العظيم العفاء والاندراس والفناء... أولئك المتداعون علينا من كل حدب وصوب من الذين أرادوا لنور الله أن ينطفئ... ولكن يأبى الله إلا أن يُتمَّ نوره ولو كره الكافرون، ولو كره الحاقدون، ولو كره المجرمون من المُعرِضين والمُغرِضين. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

نعم ستبقى الهجرة النبوية الشريفة دائماً هي الوقود الدائم الذي لا ينضب، يتزوّد منه المسلم والداعية في مسيرته الشاقة، وطريقه الطويل... حتى يبلغ غايته... وستبقى أبداً النورَ الذي يضيء لنا الدرب في مواجهة الصعاب؛ ونحن في هذا الزمان الصعب الذي تكالبت فيه علينا الأمم وتداعت كما تتداعى الأكَلَة على قصعتها.

فحريٌّ بنا، وحقيقٌ أن نتأمل، وأن نتدبر ملياً، ونجيل الفكر والنظر في هذا الحدث الجليل؛ في ضوء ما جاءنا من النور المبين المتمثل بآيات القرآن الحكيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[2]. كي نستعين بهذا الفهم السديد على مواجهة ما نمرُّ به ويمرُّ بلدنا الجريح من أزمات وكدمات، ونتمكن- حينها فحسْبُ- من اجتياز تلك المحنة العصيبة، والعقبة الكؤود.

والذي لفت انتباهي، واسترعى اهتمامي في هذا الصدد هو مجيء آية الهجرة في سياق آيات سورة التوبة المباركة؛ فعقدتُ حينها العزمَ، وشمرتُ عن ساعد الجدِّ والحزم، ورحتُ أتساءلُ عن حكمة وقوعها في هذا السياق الذي جاءت فيه من تلك السورة المباركة؛ فواصلتُ البحث، ووصلتُ الليل بالنهار؛ حتى وفقني الله ﷻ إلى السبب؛ فكان هذا البحثُ

المتواضع الذي أقدمه بين يدي القارئ الكريم... عسى الله ﷻ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبَّله مني بقبولٍ حسن، وينبته نباتاً حسناً، وأن يدَّخره لي، وأن يضعه في ميزان حسناتي... وأن ينفع به قارِئَهُ. فهو الموفق لما فيه الخير والصلاح، وهو الهادي إلى سواء السبيل...

المبحث الأول
مفهوم الهجرة

أولاً- الهجرة لغة:

جاء في **(القاموس المحيط)** ما نصه: «**هجره هَجراً** بالفتح، **وهِجراناً** بالكسر: صدمه، **وهَجَرَ** الشيء: تركه، **كـأهجره والـهُجرة:** بالكسر والضم: الخروج من أرض إلى أخرى **والهجرتان:** هجرة الحبشة، وهجرة المدينة، **وذو الهجرتين:** من **هاجر** إليهما»[٣].

وجاء في **(لسان العرب)**: «**الهجرة، والهجْرُ، والتهاجُرُ، الهجران**، وما يماثلها آشتقاقاً جميعها بالإسناد إلى جذورها **(هَجَرَ)** تشير إلى الترك، أو المغادرة والانتقال إلى مقر، أو حال آخر بدافع أو دوافع معينة، أو جذب يسبِّبه المقر، أو الحال المقصود وربما كان الدفع والجذب معاً حاثّين على الهجرة؛ وهي الخروج من أرض إلى أرض وأصلُها لدى العرب: خروجُ البدويّ من باديته إلى المدن... ويُقال: **هاجر** الرجلُ؛ إذا فعل ذلك... وكلُّ من فارق بلده، سواء أكان بدوياً، أم حضرياً لأي سببٍ كان، وسكن بلداً آخر؛ فهو **مهاجر** قد **هجر** مسكنه وقومه»[٤].

وجاء في **(مختار الصحاح)** للرازي: «**الهجر** ضد الوصل، وبابه، نَصَرَ... **وهجراناً** أيضاً والاسم: **الهجرة، والمهاجرة** من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية **والتهاجر:** التقاطع.

والهَجْر بالفتح أيضاً: الهذيان... وقد **هجر** المريض من باب نصر؛ فهو هاجر، والكلام **مهجور**، وبه قال مجاهد وغيره في قوله ﷻ على لسان نبيه الأكرم ﷺ: ﴿**إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** ﴿٣٠﴾﴾[٥]. أي: باطلاً، **وتهجّر** فلان، أي تشبه بالمهاجرين»[٦].

ثانياً- الهجرة اصطلاحاً:

الهجـرة: هـي تـرك الـوطن الـذي آلـت السـلطة فيـه إلـى الكفـار، والانتقـال إلـى دار الإسلام[٧]. وهي آنتقال المؤمن من بلد الفتنة؛ للخوف على دينه، إلى حيث يأمن على دينه، وغلب هذا في **الهجرة** من مكة إلى المدينة في حياة الرسول ﷺ. وذلك حين كانت مكة بلد كفر وشرك، ومن ذلك جاء لقب **المهاجرين** الذي يُذكر إزاء لقب الأنصار؛ أصحاب المدينة من المؤمنين ﷺ جميعاً.

والهجرة في عمومها سفرٌ، وهو وسيلة إلى الخلاص من مهروب عنه، أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه كما يقول الإمام الغزالي[٨].

وأضاف- أي الغزالي- قائلاً: «السفر سفران: سفر بظاهر البدن، وسفر يُسيِّر القلب إلى ملكوت السماوات؛ وهو السفر الباطن، وهو الأشرف. ومن يُسِّر له هذا السفر؛ لم يزل في سيره متنزهاً في جنة عرضها السماوات والأرض؛ وهو ساكن بالبدن، تضيق فيه المناهل والموارد، ولا يضرُّ فيه التزاحم والتوارد، ومن لم يؤهل للجولات في هذا الميدان، والتطواف في متنزهات هذا البستان؛ ربما سافر بظاهر بدنه لمدة مديدة مغتنماً بها تجارة للدنيا، أو ذخيرة للآخرة، فإن كان مطلبه العلم والدين، أو الكفاية للاستعانة على الدين؛ كان من سالكي سبيل الآخرة، وكان عند الله ﷻ مهاجراً في سبيله»[٩].

خلاصة القول أن مصطلح **(الهجرة)** بمفهوميه اللغوي والاصطلاحي أنه يفيد التغيير والتبديل من واقع الحال، سواء أكان هذا التغيير مادياً؛ كالانتقال من أرض إلى أخرى. أم معنوياً؛ كهجْرِ ما يخالف الاعتقاد الجديد، أو القناعات الحادثة في اتخاذ مبدأ يوافق المستجدّ، فقد أُطلق هذا المصطلح على الهجرة بمدلولها المعنوي؛ الهجرة الباطنة، أو الهجرة الكبرى، والتي يُصبح فيها الإنسان مأموناً من الأهواء، وتتحقق له روح السلامة والأمن في باطنه، فحقيقة الهجرة عن الناس الماديين: هجرُ أعمالهم، وعاداتهم، ورسومهم، وبرامجهم الخاصة والعامة المُخالِفة لفطرة النفس[١٠].

المبحث الثاني
معاني الهجرة في القرآن الكريم

ورد مصطلح (**الهجرة**) في القرآن الكريم بمعانٍ عدة... أهمها:

أولاً- الترك لغرض التأديب.

قال ﷻ في سورة النساء: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾[١١]. أي: «والنساء اللاتي تخافون أن ينشزن على أزواجهن، والنشوز عند اللغويين يقع على معان عدة؛ منها: الارتفاع قليلاً، ونَشَزَت المرأة، تنشزُ؛ فهي ناشزة، أي: آستعصت على زوجها إذا ضربها وجفاها؛ فهي ناشز»[١٢].

والهجر: هو أن لا يُجامعها، ولا يُضاجعها على فراشها، وأن يولّيَها ظهره؛ فهو بذلك يُغيظها ويحاول ردها إلى طاعته... فإن هي قبلت؛ وإلاَّ هجرها في المضجع، وأحجم عن كلامها من غير أن يُردَّ نكاحها... وذلك عليها شديد الوطأة[١٣].

وكما في قوله ﷻ على لسان والد نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام؛ حينما دعاه إلى التصديق بما جاء به من عند ربه ﷻ: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾[١٤]. أي: إن لم تنتهِ يا إبراهيم عن إعراضك هذا، وصدودك عن عبادة آلهتي وهجرها وتسفيهها؛ لاقتصَّ منك، أو أتركك كما تركتَ أنت تلك الأصنام والآلهة التي أعبدُها... فإن أبيت إلا الله وحده؛ فاهجرني، أي: آتركني حتى تفكّر في الأمر، وترجع عن قرارك الخاطئ هذا[١٥].

ثانياً- الباطل من الكلام.

قال ﷻ: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧﴾[١٦]. يقول الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية المباركة ما نصه: «**تهجرون**: من أهجر في منطقِهِ؛ إذا أفحش... **والهَجْرُ** بالفتح: الهذيان، **والهُجْرُ** بالضم: الفُحش، أو من (**هَجَرَ**) الذي هو مبالغة في **الهجر**؛ إذا هذى»[١٧]. فقد كان المشركون يجتمعون حول البيت الحرام بالليل يتسامرون، وكان عامةَ سمرهم ذكرُ القرآن وتسميته سحراً وشعراً، ناهيك عن سبِّ رسول الله ﷺ. وأذاه، والتعرض له.

و**(يهجرون)**، فهم يُعرضون عن آيات الله ﷻ، وهم في غمرتهم يعمهون كأنَّ ما يتلى عليهم هو محضُ خطرٍ جليل، وشرٌّ وبيل يحاذرونه وينأون عنه، أو كأنه مكروهٌ يجانبونه... وهم مستكبرون عن الإذعان للحق... ثم هم يزيدون على ذلك كله سوءَ القول **وهجره** في سحرهم(١٨).

يقول ٱبن كثير: «في تفسير **(الهجر)** قولان، أحدهما: أن (مستكبرين) حالٌ منهم حين نكوصهم عن الحق، وإبائهم إياه ٱستكباراً عليه، واحتقاراً له ولأهله فعلى هذا يكون الضمير في **(به)** فيه ثلاثة أقوال:

أحدها– الحرم المكي، ذُمُّوا لأنهم كانوا يسمرون فيه بالهجر من الكلام.

والثاني– أنه ضمير للقرآن، كانوا يسمرون، ويذكرون القرآن بالهجر في الكلام أنه سحرٌ، وأنه شعرٌ، وأنه كهانةٌ، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة.

والثالث– أنه محمد ﷺ. كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون الأمثال الباطلة من أنه شاعرٌ، أو كاهنٌ، أو ساحرٌ، أو كذَّابٌ، أو مجنون... فكلُّ ذلك باطل!!! بل هو عبد الله ورسوله الذي أظهره الله ﷻ عليهم، وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء، وكانوا مستكبرين بالبيت، ويقولون: نحن أهله.

(سامراً) قال: كانوا يتكبرون، ويسمرون فيه، ولا يغمرونه، ويهجرونه»(١٩).

وقد تأتي هنا بمعنى الابتعاد، والهذيان في شأن القرآن الكريم، وقول الباطل بحقه(٢٠).

ثالثاً- الإبطال وترك العمل.

قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾(٢١). «وذلك أن المشركين كانوا لا يُصغون إلى القرآن، ولا يستمعونه كما قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾(٢٢). فكانوا إذا تُليت عليهم آيات القرآن؛ أكثروا اللغط والكلام في غيره؛ حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه، وتركُ الإيمان به من هجرانه، وتركُ تصديقه من هجرانه، وتركُ تدبُّره وتفهُّمه من هجرانه... وتركُ العمل به وٱمتثال أوامره، وٱجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعرٍ، أو قولٍ، أو غناء، أو لهوٍ، أو كلامٍ، أو طريقة مأخوذةٍ من غيره من هجرانه»(٢٣).

وقد قيل: إنَّ قول الرسول ﷺ: **(يَا رَبِّ)** إنَّما يقوله يوم القيامة، أي هجروا القرآن، وهجروني، وكذبوني!!! وقال أنس بن مالك ﷺ: قال النبي ﷺ: «**من تعلَّم القرآن، وعلق مصحفه، لم يتعاهده، ولم ينظر فيه؛ جاء يوم القيامة متعلِّقاً به؛ يقول: يا ربِّ، إنَّ عبدَك هذا ٱتخذني مهجوراً؛ فاقضِ بيني وبينه**»(٢٤).

وقيل: إنه لما أكثر المشركون الطعنَ في القرآن؛ ضاق صدرُ الرسول الكريم ﷺ، وشكاهم إلى الله ﷻ... والمعنى: قال محمدٌ: **يا ربِّ، إن قريشاً كذَّبت بالقرآن، ولم تؤمن به، وجعلته وراء ظهورها متروكاً، وأعرضوا عن ٱستماعه.**

قال المفسرون: «وليس المقصودَ من حكاية هذا القول الإخبارُ بما قال المشركون... بل المقصودَ منها تعظيمُ شكايته، وتخويفُ قومه؛ لأنَّ الأنبياء عليهم السلام إذا ٱلتجأوا إلى الله ﷻ، وشكوا قومَهم؛ حلَّ بهم العذابُ، ولم يُمهَلوا»(٢٥).

رابعاً- ترك المعاصي.

قال ﷻ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾(٢٦). والرُّجز: هي الأصنام التي كانوا يعبدونها... فأمره ﷻ أن يهجرها؛ فلا يأتيها، ولا يقربها(٢٧). قال الرازي: «الرُّجز، ٱسمٌ للقبيح المستقذر، كالرجس قال ﷻ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾(٢٨). وقال ﷻ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ كلامٌ جامعٌ لمكارم الأخلاق... كأنه قيل له: ٱهجر الجفاء، والسفه، وكل قبيح، ولا تتخلَّقْ بأخلاق هؤلاء المشركين...

والمراد بالهجر: الأمر بالمداومة على ذلك الهجران، كما يقول المسلم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾(٢٩). فليس معناه أنه قبل دعائه ليس على الهداية؛ بل المراد: ثبِّتنا على هذه الهداية»(٣٠).

ومخاطبة الله ﷻ لرسوله الكريم ﷺ بخطابٍ كهذا لا يستلزم تلبُّس النبي ﷺ بشيءٍ من المعاصي، أو عبادة الأوثان؛ فهذا مُحالٌ على رسول الله المعصوم ﷺ؛ فهو الذي لم يسجد لصنم قطُّ منذ صغره... إذ حفَّته العناية الربانية بأكفها منذ نعومة أظفاره... وإلى أن توفاه الله ﷻ... وذلك كقوله ﷻ على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤٢﴾(٣١).

خامسا : هجر السفهاء واصحاب السوء، قال ﷻ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ ﴾[٣٢]. إذ يحثُّ الله ﷻ في تلك الآية الكريمة رسولَه ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجراً جميلاً؛ وهو الهجر الذي لا عتاب معه[٣٣]. على أنه ﷻ هنا لا يعني المقاطعة الدائمة التي قد تحول دون آستمرار دعوة من يرجى منهم الدخول في الإسلام، وهو ما آقتضته الدعوة في بداية نشأتها، وبذا يكون هذا النوع من الهجر لا عتاب معه، ولا غضب، ولا مشادَّة للقلوب والضمائر؛ بل لا يعدو كونه مجرَّد بلاغ هادئ، وبيان منير[٣٤].

وليس بخافٍ على المتأمل الحصيف كونُ المسلمين يومذاك قلة مستضعفة، يسهل على المشركين آضطهاد من يهجر دينهم ومعتقداتهم بتسفيه عقائدهم، والتعرُّض لشعائرهم وطقوسهم... بل كانت لديهم القوة والقدرة على الفتك بالمسلمين، من دون أن تكون لهم عشيرة تُؤويهم، أو قوة تحميهم، وتذبُّ عنهم الأذى... كما فعلوا ونكَّلوا بالكثيرين منهم؛ كياسر وسمية؛ والدَيْ عمار ﷺ... وغيرهم من المؤمنين كثير.

وقد يقول قائلٌ: إن الخطاب في تلك الآية الكريمة موجَّهٌ إلى رسول الله ﷺ. فنقول له: ومع هذا التخصيص الخطابي؛ فإن المراد من الآية المباركة عمومُ الأمة؛ لأن كثيراً من الآيات الكريمة جاءت مخاطبة لرسول الله ﷺ، ولا تنفي في الوقت ذاته عملاً يؤمر به ﷺ في شأن المسلمين.

إنَّ خطاب رسولِ الأمة، والمراد به عمومها واحدٌ من أشهر أنواع المخاطبات في القرآن العزيز[٣٥]. ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣ ﴾[٣٦]. والقاعدة القرآنية تقول: «**العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**».

فكم من داعية إلى الله ﷻ يتعرض إلى التهديد، والأذى، والكلام الفاحش البذيء، ولا يكون حينها بوسعه سوى الهجر المرِّ، والصفح الجميل.

أما (**الهجر**) بمعنى قطع صلات العِشرة والمصاحبة؛ فهو منهيٌّ عنه للمسلمين فيما بينهم بقول رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان؛ فيُعرض هذا، ويُعرض هذا.. وخيرُهُما الذي يبدأ بالسلام**»[٣٧].

المبحث الثالث
بين يدي سورة التوبة المباركة

أولاً- سببُ نزولها:

سورة التوبة من السور المدنية... وكما هو معلوم؛ فإن من مميزات تلك السور أنها تُعنى بالجانب التشريعي(٣٨). وهي- أي سورة التوبة- آخر ما نزل على قلب الرسول الأمين ﷺ إذ روى البخاريُّ عن البراء بن عازب ﷺ أنَّ آخر سورةٍ نزلت سورةُ براءة(٣٩). وروى الحافظ ٱبن كثير أن أول هذه السورة نزلت على قلب الرسول الأمين ﷺ حينما ٱنصرف من غزوة تبوك، وأنه بعث أبا بكر الصِّدِّيق ﷺ أميراً على الحج تلك السنة؛ ليقيم للناس مناسكهم... فلما قفل؛ أتبعه بعلي بن أبي طالب ﷺ؛ ليكون مُبلِّغاً عن رسول الله ﷺ ما فيها من أحكام(٤٠).

نزلت تلك السورة المباركة في السنة التاسعة من الهجرة، وهي السنة التي خرج فيها رسولُ الله ﷺ قاصداً غزو الروم في غزوة تبوك... وكانت في حرٍّ شديد، وسفر بعيد حين طابت الثمار، وأخلد الناس إلى نعيم الحياة؛ فكان ذلك ٱبتلاءاً وتمحيصاً لإيمان المؤمنين، وٱمتحاناً شديداً لصدقهم وإخلاصهم لدين الله ﷻ، وتمييزاً لهم عن المنافقين المتلبِّسين.

لقد كشفتْ تلك السورةُ سوءات المنافقين الذين يُعدُّون أشدَّ خطراً على الإسلام وأهله من المشركين، وأظهرت بواطنهم، واستخرجت مكامنهم؛ وفضحتهم على رؤوس الأشهاد، وفشت أسرارهم، ونشرتْ مخازيهم بعدما بلغ بهم الحقد والحنق والحسد للمؤمنين، وتربُّص الدوائر بهم مبلغَه، وأخذ عليهم الكيد والتآمر على الإسلام ألبابهم وجوارحهم، وقضَّ الفتح المبين، والنصر العظيم مضاجعهم، وشغل بالهم، وألهب في صدورهم نارَ الغيظ، وحبَّ الانتقام لاستئصال شأفة هذا الدين الخالد... ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾(٤١).

لقد ٱتَّخذ أولئك الموغلون في الدهاء والمكر والتخفِّي من بيوت الله أوكاراً للتآمر، وزرع بوادر الشقاق والفتنة بين صفوف المسلمين في مسجدهم المنبتِّ من الأرض ما له من قرار... ذلك هو «**مسجد الضِّرار، والكفر، والتفريق بين المؤمنين**» الذي نزلت في شأنه أربع آيات بيِّنات من تلك السورة المباركة... إذ قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا

﴿وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[٤٢]... ولم يكدِ النبي ﷺ يصلُ إلى المدينة قافلاً من تلك الغزوة؛ حتى تلقَّى الوحيَ الأمينَ الآمرَ بإنزال أقسى العقوبات وأشدها بمن هذا ديدنُه، وأرشد إلى طمس معالم كل ما أُنشئ من البنيان الزائل لهذا الغرض الدنيء؛ فأمر ﷺ بدوره أصحابَه الكرامَ ﷺ بما أمره به ربُّه ﷻ أن «**آنطلقوا إلى المسجد الظالمِ أهلُهُ؛ فاهدموه وحرِّقوه**»؛ ففعلوا ﷺ[٤٣]... وخيَّب الله مسعى المنافقين، وأبطل كيدهم بأن أمر نبيه ﷺ بهدمه وإزالة رموسه[٤٤].

ثانياً- تسميتها:

سُمِّيت تلك السورة بأسماء عدة... أوصلها بعضُ المفسرين إلى أربعة عشر آسماً، قال العلامة الزمخشري: «لهذه السورة عدة أسماء: (**براءة**)، و(**التوبة**)، و(**المقشقشة**)، و(**المُبعثِرة**)، و(**المُشرِّدة**)، و(**المخزِية**)، و(**الفاضِحة**)، و(**المُثيرة**)، و(**الحافِرة**)، و(**المُنكِّلة**)، و(**المُدمدِمة**)، و(**سورة العذاب**)، لأن منها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق؛ أي تُبرئ منه، وتبعثر أسرار المنافقين، وتبحث عنها، وتثيرها، وتحفرها، وتفضحهم، وتنكِّل بهم، وتشرِّدهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم»[٤٥].

ثالثاً- علاقة السورة بما قبلها وما بعدها:

١. علاقتها بما قبلها إنَّ آتصال سورة التوبة بسورة الأنفال المباركتين لهو أبين من أن يُتكلَّف في توجيهه... حتى إن شدة المشابهة والالتئام أوجبَ أن لا يُفصل بينهما بالبسملة؛ وذلك أنَّ سورة الأنفال قد تضمَّنت الأمرَ بالقتال، قال ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٤٦]. وبيَّنت حكم الفرار من الزحف، وحكم النسبة المأمور فيها بالثبات، ولحوق التأثيم للفارِّ من الزحف، والمولّي دُبُره للعدوّ، كما بيَّنت حكم الأسرى، وحكم ولاية المؤمنين، وحكم من يدخل تحت هذه الولاية، ومن يخرج عنها.

في حين ذكرت لدتها (**سورة التوبة**) حكم من عهد إليه المسلمون من المشركين، والبراءة منهم إذا هم لم يوفوا بعهودهم، وحكم من آستجار وطلب الأمان منهم... وكل ذلك باب واحد، وأحكام متواردة على قضية واحدة؛ هي تحرير حكم المخالف، فالتحمت السورتان

أوضح ٱلتحام وأوثقه، وٱلتأمتا أشدّ ٱلتئام وأبينه، ثم عاد الكلام فيها إلى حكم المنافقين، وهتك أسرارهم، ونشر مكنوناتهم على الملأ[٤٧].

٢. علاقتها بما بعدها:

لما تضمَّنت سورةُ براءة قولَه ﷻ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾[٤٨]، وقوله ﷻ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾[٤٩]، وقولـــه ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[٥٠]، وقولـه ﷻ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[٥١]... إلـى مـا تخلـل تلـك السـورة الكريمـة ممّـا شـهد لرسـول الله ﷺ بتخصيصـه بمزايـا السـبق، والقـرب، والاختصاص، واللطف في الخطاب، ووصفه ﷺ بأرقِّ نعوت الرأفة والرحمة...

هذا مع ما انطوت عليه تلك السورة المباركة مع سورة الأنفال من قهره ﷻ لأعدائه، وتأييده ونصره لأوليائه، وظهورٍ لشأن دينه، وعلوٍّ ورفعة لدعوته، وإعلاء لكلمته... إلى غير ذلـك مـن الـنعم الجليلـة الظـاهرة والباطنـة التـي حبـا الله ﷻ بهـا نبيَّـه الكـريم ﷺ، وعبـاده المؤمنين...

كان ذلك كله مظنَّة لعجب المرتاب، وداعياً لتوقف الشاكِّ، ومثيراً لأضغان الأعداء؛ بسبب ما حبا الله نبيه ﷺ من أمر النبوة... قال ﷻ: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾[٥٢]... ثم قال ﷻ بعدها مباشرة: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ ﴾[٥٣]... فبين ٱنفراده ﷻ بالربوبية والخلق والاختراع والتدبير... فكيف يُعترض على أفعاله، أو يطَّلع البشر على وجه الحكمة في كل ما يفعله ويبديه ﷻ إذا كان الكلُّ ملكَه وخلقه؛ وهو يفعل في ملكه ما يشاء، ويحكم خلقه بما يريد[٥٤]...

المبحث الرابع
الآية الدالة على الهجرة

وهي قوله ﷻ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٥٥].

المناسبة:

لمَّا وصف الله ﷻ نفسه القدسية بما هو له أهلٌ من شمول القدرة، وعظيم البأس والقوة؛ أتبع ذلك بدليل أن المستنفر له- وهو نبيه ﷺ- غير محتاج اليهم، وغير متوقف نصرُه عليهم، كما لم يحتجْ اليهم بحياطة القادر له فيما مضى من الهجرة التي ذكرها[٥٦]...

ولمَّا أمر الله ﷻ بقتال المشركين كافة، وحثهم على التقوى، وكان بعضُهم قد توانى في ذلك؛ آشتدَّ آقتضاءُ الحال للعتاب على التثاقل عن النفر... فلما تمَّ ذلك بهذا الأسلوب البديع الرائع، والطراز الرفيع؛ حثَّ ﷻ على نصر نبيه ﷺ الذي أرسله بهذا الدين ليظهره على الدين كله؛ فقال ﷻ جواباً للشرط: (فَقَدْ)، أي: إن لم يتجدَّد منكم له نصرٌ وتأييد وتعزير ومؤازرة؛ فإنَّ الله ﷻ قادرٌ على نصره، وسينصُرُه حتماً، ويغنيه عنكم، ولن تضرُّوا حينها إلا أنفسكم[٥٧]...

ترتيب النزول:

قال النقَّاش: «هذه أول آية نزلت من سورة **براءة**»[٥٨].

اللفتات اللغوية والبلاغية

١. عبر ﷻ بصيغة الماضي: **(إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)**؛ لأن فيهم من أسلم بعد ذلك[٥٩]... وأسند إخراجه ﷺ إلى الكفار؛ لأنهم تآمروا على قتله؛ حتى آضطروه وألجأوه إلى الهجرة[٦٠]؛ فنُسب الفعل اليهم، ورُتّب الحكم فيه عليهم... فلهذا يُقتل المكره على القتل، ويضمن المال المتلف بالإكراه؛ لإلجائه القاتل والمتلف إلى القتل والإتلاف[٦١].

٢. (ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ) نصبٌ على الحال، أي في الحال التي كان فيها (ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ) وتحقيق القول أنه إذا حضر ٱثنان؛ فكل واحد منهما يكون ثانياً في ذينك الاثنين للآخر... فلهذا السبب قالوا: يقال فلان ثاني ٱثنين، أي هو أحدهما[٦٢]. وسمى الله ﷻ أبا بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ (ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ)؛ فجعل ثاني محمد ﷺ في الغار، وقد أثبت العلماء أن أبا بكر الصِّدِّيق ﷺ كان ثاني محمد ﷺ في أكثر المناصب والمقامات الدينية؛ فإنه ﷺ لما أُرسِل إلى الخلق، وعرض الإسلام على أبي بكر؛ آمن به على الفور، ولم يجدْ له كبوة، أو تردداً، ثم عرض أبا بكر الصِّدِّيق ﷺ بعد إسلامه الإسلامَ على طلحة، والزبير، وعثمان ٱبن عفان، وعلى جماعة آخرين من أجلاء الصحابة ﷺ.. وقد آمن الكلُّ على يديه المباركتين ﷺ، ثم إنه جاء بهم بعد أيام قلائل إلى رسول الله ﷺ؛ فكان ﷺ بحقٍّ ثانيَ ٱثنين في الدعوة إلى الله ﷻ. وأيضاً فكلَّما وقف رسولُ الله ﷺ في غزوة؛ كان أبو بكر يقف في خدمته، ولا يفارقه؛ فكان ﷺ ثاني ٱثنين في مجلسه المبارك... ولما مرض ﷺ؛ قام ﷺ مقامه في إمامة الناس في الصلاة؛ فكان ثاني ٱثنين... ولما تُوفي ﷺ دُفن بجانبه ﷺ؛ فكان ثاني ٱثنين هناك أيضاً... وإلى أن يرث اللهُ ﷻ الأرض ومن عليها[٦٣].

٣. (فَقَدۡ): الفاء هنا للتعقيب، وهي تعني بالعربية أن يكون الثاني تبعاً للأول[٦٤]... أي: إن لم يتجدَّد منكم له نصرٌ؛ فان الله ﷻ قادر على نصره، وسينصره حتماً، ويغنيه عنكم، ولا تضرُّون سوى أنفسكم؛ فقد (نَصَرَهُ ٱللَّهُ) الملك العلاَّم؛ والأمر في غاية الشدة والاحتدام... ولا شك أن المستقبل عنده كالماضي، وقد جاءت الصيغة بالماضي للتأكيد وتحقق الوقوع[٦٥]. فالله ﷻ يقول: (إِلَّا تَنصُرُوهُ)، أي: تعينوه بالنفر معه في غزوة تبوك، إذ نصره الله في مواطن القلة، وأظهره على عدوه؛ فقد نصره بصاحبه في الغار بتأنيسه له، وحمله على عنقه، وبوفائه ووقايته وفدائه له بنفسه، ومواساته له بماله، قال الليث بن سعد: «ما صحب الأنبياءَ عليهم السلام مثلُ أبي بكر الصِّدِّيق»[٦٦]. وقال: سفيان بن عيينة «خرج أبو بكر ﷺ بهذه الآية من المعاتبة التي في قوله ﷻ: (إِلَّا تَنصُرُوهُ)[٦٧]. وتحقيقُ القول: إلاَّ تنصروا رسوله ﷺ؛ فإنَّ الله ﷻ ناصرُهُ وحافظُهُ، وجواب الشرط محذوفٌ، تقديره: فسينصره الله ﷻ... دلَّ عليه قوله

ﷻ: (فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ)... والمعنى: إن لم تنصروه أنتم؛ فسينصره الله الذي نصره حين كان ثاني آثنين؛ حيث لم يكن معه أنصارٌ، ولا أعوان[٦٨]...

٤. في عودة الضمير في قوله ﷻ: (إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ)، وقوله ﷻ: (فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا)... قال القرطبي: «إن فيه قولين: أحدهما: أنه النبي ﷺ والثاني: أنه أبو بكر ﷺ»[٦٩]. ورُوي عن آبن عباس ﷺ وغيره أنهم قالوا: «لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة... وهذا لا ينافي تجدُّد سكينة خاصة بتلك الحال؛ ولهذا قال ﷻ: (وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا)[٧٠]. وعزا الرازيُّ عودَ الضمير إلى أوجه عدة... منها:

١- «أن الضمير يجب عودُه إلى أقرب المذكورات، وأقرب المذكورات المتقدمة في هذه الآية هو أبو بكر ﷺ؛ لأنه ﷻ قال: (إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ)، والتقدير: إذ يقول محمد ﷺ لصاحبه أبي بكر ﷺ: لا تحزن... وعلى هذا التقدير؛ فإنَّ أقربَ المذكورات السابقة هو أبو بكر؛ فوجب عودُ الضمير عليه»[٧١].

٢- «الحزن والخوف كان حاصلاً لأبي بكر ﷺ، لا للرسول ﷺ؛ فإنَّه ﷺ كان ساكن القلب بما وعده الله ﷻ أن ينصره على قريش... فلمَّا قال لأبي بكر ﷺ: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا)؛ صار آمناً؛ فصرْفُ السكينة إلى أبي بكر الصِّدِّيق ليصير ذلك سبباً لزوال خوفه أولى من صرفها إلى الرسول ﷺ، مع أنه قبل ذلك ساكنُ القلب، قويُّ النفس»[٧٢].

٣- أنه لو كان المرادَ إنزالُ السكينة على الرسول ﷺ؛ لوجب أن يقال بأنَّه كان قبلُ خائفاً ولو كان الأمرُ كذلك؛ لما أمكنه ﷺ أن يقول لأبي بكر ﷺ: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا) فمن كان خائفاً كيف يمكنه أن يزيل الخوفَ عن قلب غيره، (إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه) ولو كان الأمرُ على ما قالوه؛ لوجب أن يُقال: **(فأنزل الله سكينته عليه؛ فقال لصاحبه: لا تحزن)** ولمَّا لم يكن كذلك، بل ذكر أولاً أنه ﷺ قال لصاحبه: (لَا تَحْزَنْ) ثم ذكر بفاء التعقيب نزولَ السكينة؛ وهو قوله ﷻ: (فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ)[٧٣].

يقول ابن العربي: «قال علماؤنا- وهو الأقوى- أنَّ الضمير عائدٌ إلى أبي بكر ﷺ، لأنه خاف على النبي ﷺ من القوم؛ فأنزل الله ﷻ سكينته عليه بتأمين النبي ﷺ؛ فسكن جأشه، وذهب روعه، وحصل له الأمن»(٧٤).

«ولم يكن حزن أبي بكر ﷺ جبناً، ولا سوء ظن؛ لأنَّه ﷺ كان نافذَ البصيرة في المعارف الإلهية، راسخَ القدم في ذلك المقام؛ لذلك لم يتلعثم من أول الأمر في عناد جميع العباد بخلع الأنداد، وكان الذي به من القلق والخوف إنما هو الخوف من أن يحصل للنبي ﷺ أذى؛ فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين، وقمع المعتدين»(٧٥). «أي أنه وإن كان آمناً على عدم القتل؛ فإنه لم يكن آمناً من الضرب، والجرح، والإيلام الشديد»(٧٦).

ويستطردُ الرازي في كلامه عن دلالة الآية الكريمة؛ إذ يقول: «فان قيل: وجب أن يكون قولُه ﷻ: **(فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ)** المرادُ منه: أنزل سكينته على قلب الرسول ﷺ... والدليل أنه عطف عليه قوله ﷻ: **(وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا)**، وهذا لا يليق إلاّ بالرسول ﷺ، والمعطوفُ يجب كونُه مشاركاً للمعطوف عليه... فلمَّا كان هذا المعطوف عائداً إلى الرسول ﷺ؛ وجب في المعطوف أن يكون عائداً إلى الرسول ﷺ»(٧٧).

ويُجيبُ الرازي على ٱفتراضه هذا بقوله: «قلنا: هذا ضعيف؛ لأن قوله ﷻ: **(وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا)** إشارةٌ إلى قصة بدر، وهو معطوف على قوله ﷻ: **(فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ)**... وتقديرُ الآية: **(إلاَّ تنصروه؛ فقد نصره الله بواقعة الغار؛ إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا؛ فأنزل الله سكينته عليه، وأيده بجنود لم تروها في واقعة بدر)**، وإذا كان الأمرُ كذلك؛ فقد سقط هذا السؤال»(٧٨).

«والجنودُ هي الملائكة. والكناية في قوله: **(وَأَيَّدَهُۥ)** ترجع إلى النبي ﷺ والضميران يختلفان، وهذا كثير في القرآن، وفي كلام العرب»(٧٩). ﴿**وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا**﴾(٨٠). قال ابن عباس ﷺ: «يعني بكلمة الذين كفروا: **الشرك**، وكلمةُ الله هي **لا اله إلا الله**»(٨١).

وفي **(الصحيحين)** «عن أبي موسى الاشعري ﷺ قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء... أيُّ ذلك في سبيل الله؟؟ فقال: من قاتل؛ لتكون كلمةُ الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله»[٨٢]، وقيل هي وعد النصر[٨٣].

القراءات:

١. **(ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ)**: قُرئت بالفتح، وقرئتْ بالسكون... قرأها أبو عمرو في **(الشواذ)**[٨٤]...
٢. **(ٱلۡغَارِ)**: بالإمالة... قرأها عمرو والكسائي، وٱبن ذكوان، والدوري، وورش[٨٥]...
٣. **(إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ)**: قرأها حمزة، وقالون، وورش بالإدغام[٨٦]...
٤. **(وَأَيَّدَهُۥ)**: قرأها مجاهد بالتخفيف، أي: (وَأَيَدَهُ)[٨٧]...
٥. **(ٱلسُّفۡلَىٰ)**: قرأها أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وورش بالإمالة[٨٨].
٦. **(وَكَلِمَةُ)**: قُرأت بالنصب، أي: (وَكَلِمَتَهُ)، وقرأها يعقوب، والاعمش بالنصب حملاً على **(وَجَعَلَ)**... وقرأها الباقون بالرفع على الاستئناف[٨٩]. وزعم الفرَّاء أن قراءة النصب بعيدة... قال: لأنك تقول: **(أعتق فلانٌ غلامَ أبيه)**، ولا تقول: **(غلام أبي فلان)**[٩٠]... وذهب أبو حاتم إلى نحوٍ من هذا، إذ يقول: «كان يجب أن يقال: **(وكلمتُهُ هي العليا)**»[٩١]. وقال النحَّاس: «الذي ذكره الفرَّاء لا يُشبه الآية؛ ولكن يشبهها ما أنشد سيبويه:

لا أرى الموت بسبق الموت شيء نغَّص الموتُ ذا الغنى والفقيرا[٩٢]

فهذا حسن جيد لا إشكال فيه...»[٩٣].

وقال النحويون الحُذَّاق: لإعادة الذكر في مثل هذا فائدة؛ وهي أن فيه معنى التعظيم، كقوله ﷻ: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾[٩٤]... فهذا لا إشكال فيه[٩٥].

وأخيراً وليس آخراً؛ فإن وقوع هذه الآية حيث موقعها من سورة التوبة المباركة لم يكن ٱعتباطاً، ولا مصادفة؛ وإنما يشكِّل الموضع الذي وقعت فيه المكانَ المناسب غاية المناسبة؛ لأنَّ من معاني التوبة التركَ... وبما أن **(الهجرة)** هي ترك الوطن إلى وطن آخر، وهي

التغيُّر من حال إلى حال؛ فإنَّ من المناسب جداً وقوعُ تلك الآية في مكانها الذي وردت فيه من تلك السورة الكريمة... والله أعلم بالصواب...

الخاتمة ونتائج البحث

بعد تلك الرحلة القرآنية في رحاب **(آية الهجرة المباركة)**... أرى من الضروري أن أُوجز ما بسطتُه في ثنايا هذا البحث... من خلال خلاصة مختصرة، دالّة على أهم النتائج التي توصلتُ إليها أثناء البحث:

١. ورد مصطلح **(الهجرة)** في القرآن الكريم بمعانٍ عدة منها:

الأول- ورودُه بمعنى الترك؛ لغرض التأديب... كما قال ﷻ: ﴿ **فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ** ﴾[٩٦]...

الثاني- ورودُه بمعنى الباطل من الكلام... كما قال ﷻ: ﴿ **مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧** ﴾[٩٧]... أي تتسامرون بالكلام الفاحش والباطل...

الثالث- ورودُه بمعنى الإبطال وترك العمل... كما في قوله ﷻ: ﴿ **وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠** ﴾[٩٨]... أي: لا يُصغون له، ولا يستمعون...

الرابع- ورودُه بمعنى ترك المعاصي... كما في قوله ﷻ: ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥** ﴾[٩٩]... أي: آهجر الأصنامَ التي كانوا يعبدونها، وكلَّ ما هو مستقبح...

الخامس- ورودُه بمعنى هجرة السفهاء وأصحاب السوء... كما في قوله ﷻ: ﴿ **وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠** ﴾[١٠٠]...

٢. لسورة التوبة أسماء عدَّة... أوصلها بعضُ المفسرين إلى أربعة عشر آسماً، منها: **(براءة)**، و**(التوبة)**، و**(المقشقشة)**، و**(المُبعثِرة)**، و**(المُشرِّدة)**، و**(المخزِية)**، و**(الفاضِحة)**، و**(المُثيرة)**، و**(الحافِرة)**، و**(المُنكِّلة)**، و**(المُدمدِمة)**، و**(سورة العذاب)**...

٣. عُدَّت تلك الآيةُ المباركة شهادةً للخليفة أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ في الصلاح والنجاح... بل عدَّها علماءُ الأمة بشارةً على خلافة أبي بكر الصديق للنبي ﷺ؛ فهو ﷺ ثاني آثنين في دعوته، وثاني آثنين في مجلسه، وثاني آثنين في خلافته، وثاني آثنين في موته...

٤. إن الله ﷻ قادرٌ على نصر نبيِّه محمد ﷺ... حتى وإن لم يكن معه سوى شخص واحد؛ كأبي بكر الصديق ﷺ... إذ نصره وهو في الغار مطارَدٌ من قومه... وسينصره في غزواته ومعاركه الآتية. فإن لم تنصروه؛ فالله ناصره، ولا يضره نصركم، أو فراركم من مواجهة الأعداء.

٥. قوله ﷻ: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾... وهو ﷺ قد خرج فارًّا بنفسه؛ لكن بإلجائهم إلى ذلك حتى فعله؛ فنُسب الحكم إليهم، ورُتِّب الحكم فيه عليهم... ونظير هذا قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[١٠١]. فلهذا يُقتل المكره على القتل، ويضمن المال المتلف بالإكراه؛ لإلجائه القاتل والمتلف إلى القتل والإتلاف.

٦. في حادثة الهجرة من الفقه... ٱئتمان أهل الشرك على السر والمال إذا عُلِم منهم وفاء ومروءة كما ٱئتمن النبيُّ ﷺ عبد الله بن أُريقط في الخروج من مكة وعلى الناقتين. وفيه كذلك جواز ٱستئجار المسلمين الكفار في الهداية وسط متاهات الطريق.

٧. وفيها كذلك دليل على جواز الفرار بالدين خوفاً من العدو، والاستخفاء في المغارات والملاجئ والكهوف وغيرها، وأن لا يُلقيَ الإنسان بيده إلى العدو والتهلكة ٱدعاءً منه أنه متوكِّلٌ على الله ﷻ، ومسلِّم لأمره وقضائه.

٨. إنَّ وُرودَ قصة الهجرة في سورة التوبة ليس محض مصادفة؛ وإنما لتناسب معنى الهجرة مع معنى التوبة، وإن أحد شروط التوبة هو الترك، وهو أحد المعاني التي يتضمنها مصطلح الهجرة؛ وهي ترك الوطن إلى وطن آخر غيره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله الطيبين، الطاهرين، الغُرِّ، الميامين: أزواجه، وأصحابه، وأحبابه، ومن سار على نهجه وٱقتفى أثره.

هوامش البحث

(١) سورة التوبة/ الآية ٣٢.

(٢) سورة فُصِّلت/ الآية ٤٢.

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة: (هجر) ص٤٩٥، حرف الراء- فصل الهاء.

(٤) لسان العرب لابن منظور، مادة (هجر) ٧/ ١١١- ١١٤، وينظر: الصحاح للجوهري مادة (هجر) ٢/ ٨٥١.

(٥) سورة الفرقان/ من الآية ٣٠.

(٦) مختار الصحاح، مادة (هجر) ٢٨٨.

(٧) ينظر: التعريفات، للسيد الجرجاني ص٢٥١.

(٨) ينظر: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي ٢/ ٢٤٤- ٢٤٦. والغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، يكنى بأبي حامد؛ نسبة إلى آبنه الذي توفي صغيراً... ولد في قرية من قرى طوس، تسمى غزالة سنة (٤٥٠هـ)، وتوفي سنة(٥٠٥هـ)... له مؤلفات عديدة... منها (**إحياء علوم الدين**)، و(**تهافت الفلاسفة**)، وغيرها... له ترجمة وافية في الأعلام لخير الدين الزركلي ٥/ ١١٨.

(٩) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي ٢/ ٢٤٤- ٢٤٦.

(١٠) ينظر: رسالة في السير والسلوك للطباطبائي ص٦٢- ٦٣.

(١١) سورة النساء/ الاية ٣٤.

(١٢) معجم ألفاظ القرآن نادرة الاستعمال، نشأت صلاح الدين ص٣٢٩.

(١٣) ينظر: تفسير آبن كثير ١/ ٤٩١.

(١٤) سورة مريم/ الاية ٤٦.

(١٥) ينظر: تفسير الطبري ١٦/ ٩٠، وتفسير آبن كثير ٣/ ٢٣، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ص٣٥٧.

(١٦) سورة المؤمنون/ الاية ٦٧.

(١٧) تفسير الرازي ٢٣/ ١٠٢.

(١٨) تفسير (في ظلال القرآن)، لسيد قطب ٤/ ٢٤٧٢.

(١٩) تفسير آبن كثير ٣/ ٢٩٤.

(٢٠) ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم ص٧٨٣.

(٢١) سورة الفرقان/ الآية ٣٠.

(٢٢) سورة فصِّلت/ الآية ٢٦.

(٢٣) تفسير آبن كثير ٣/ ٢٩٦.

(٢٤) تفسير القرطبي ٧/ ٢٩، وذكر هذا القول الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) ٤/ ٤٠٠، وفي سنده أبو هدبة؛ وهو كذاب.

(٢٥) صفوة التفاسير ٢/ ٣٦١، وينظر: حاشية الشيخ زادة على البيضاوي ٣/ ٤٥١.

(٢٦) سورة المدَّثر/ الآيتان ٤– ٥.

(٢٧) تفسير الطبري ٢٩/ ٩٣.

(٢٨) سورة الحج/ من الآية ٣٠.

(٢٩) سورة الفاتحة/ الآية ٦.

(٣٠) ينظر: تفسير الرازي ٣٠/ ١٩٣.

(٣١) سورة المؤمنون/ الآية ٦٧، وينظر: تفسير آبن كثير ٣/ ٣١٧.

(٣٢) سورة المزَّمِّل/ الآية ١٠.

(٣٣) ينظر: تفسير آبن كثير ٤/ ٤٣٧.

(٣٤) ينظر: الهجرة والنصرة في القرآن الكريم ص٥٧.

(٣٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٤٢، والإتقان في علوم القرآن ٢/ ٩١.

(٣٦) سورة الأحزاب/ الآيات١– ٣.

(٣٧) صحيح مسلم ٨/ ٩، و٢٥– ٢٦، وينظر: موطأ الامام مالك ٢/ ٩٠٧، وسنن الترمذي ٨/ ٨، وفي ظلال القرآن ٨/ ١٧٤– ١٧٥.

(٣٨) ينظر: مباحث في علوم القرآن ص١٨٤.

(٣٩) ينظر: صحيح البخاري ٨/ ٢٢٧.

(٤٠) يُنظر: مختصر تفسير آبن كثير ٢/ ١٢٣.

(٤١) سورة التوبة/ الآية ٣٢.

(٤٢) سورة التوبة/ الآيتان ١٠٧- ١٠٨.

(٤٣) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام ٤/ ١٨٤.

(٤٤) ينظر: السيرة النبوية، للدكتور علي الصَّلاَّبي ص٨٢٥.

(٤٥) تفسير الكشاف، للزمخشري ٢/ ٢٤١.

(٤٦) سورة الأنفال/ الآية ٣٩، وسورة البقرة/ الآية ١٩٣.

(٤٧) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير ص١٠٥.

(٤٨) سورة التوبة/ من الآية ٤٠.

(٤٩) سورة التوبة/ من الآية ٤٣.

(٥٠) سورة التوبة/ من الآية ٦١.

(٥١) سورة التوبة/ الاية ١٢٨.

(٥٢) سورة يونس/ الآية ٢.

(٥٣) سورة يونس/ الآية ٣.

(٥٤) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن ص١٠٦.

(٥٥) سورة التوبة/ الآية ٤٠.

(٥٦) ينظر: نظم الدرر ٨/ ٤٧٢.

(٥٧) ينظر: المصدر نفسه ٨/ ٤٧٣.

(٥٨) حكاه عن النقَّاش آبن عطية في (المحرر الوجيز) ٦/ ٤٩٦.

(٥٩) ينظر: نظم الدُّرر ٨/ ٤٧٣.

(٦٠) ينظر: صفوة التفاسير ١/ ٥٣٦.

(٦١) ينظر: تفسير القرطبي ٤/ ٤٨١.

(٦٢) ينظر: تفسير الرازي ١٦/ ٥٦.

(٦٣) ينظر: تفسير الرازي ١٦/ ٥٧.

(٦٤) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس ١/ ٣٦٨.

(٦٥) ينظر: نظم الدرر ٨/ ٤٧٣.

(٦٦) قول الليث ذكره آبن عطية في المحرر الوجيز، وأبو حيان في البحر المحيط ٥/ ٤٣.

(٦٧) قول سفيان ذكره أبو حيان في البحر المحيط، وآبن عطية في تفسيره ٦/ ٤٩٩، وقال: بل خرج منها كل من شهد غزوة تبوك ولم يتخلف عنها، وإنما المعاتبة لمن تخلف فقط. أما أن هذه الآية منوهة بأبي بكر ﷺ، وحاكمة بتقدمه وسابقته في الإسلام... ينظر: تفسير القرطبي ٤/ ٤٨٠.

(٦٨) ينظر: في ظلال القرآن ١/ ٥٣٦.

(٦٩) تفسير القرطبي ٤/ ٤٨٤، وتفسير ابن كثير ٢/٣٣١.

(٧٠) المصدر نفسه ١٦/ ٥٨.

(٧١) تفسير الرازي ١٦/ ٥٨.

(٧٢) المصدر نفسه ١٦/ ٥٨.

(٧٣) ينظر: تفسير الرازي ١٦/ ٥٨.

(٧٤) ينظر: أحكام القرآن ٢/ ٩٥١.

(٧٥) نظم الدرر ٨/ ٤٧٣.

(٧٦) تفسير الرازي ١٦/ ٥١.

(٧٧) المصدر نفسه ١٦/ ٥٨.

(٧٨) تفسير الرازي ١٦/ ٥٨.

(٧٩) تفسير القرطبي ٤/ ٤٨٥.

(٨٠) سورة التوبة/ الآية ٤٠.

(٨١) ينظر: تفسير آبن كثير ٢/ ٣٣١.

(٨٢) فتح الباري ٦/ ٣٤، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠٤)- باب الجهاد.

(٨٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٦/ ٤٨٥.

(٨٤) ينظر: معجم القراءات القرآنية ٣/ ٢١.

(٨٥) ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٢١.

(٨٦) ينظر: غيث النفع ص٢٣٨.

(٨٧) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٤٤.

(٨٨) ينظر: غيث النفع ص٢٣٨.

(٨٩) ينظر: تفسير القرطبي ٤/ ٤٨٥.

(٩٠) ينظر: معاني القرآن ١/ ٤٣٨.

(٩١) تفسير القرطبي ٤/ ٤٨٥.

(٩٢) ينظر: الكتاب، لسيبويه ٣/ ٣٠، والموسوعة الشعرية... والبيت لسوادة بن عدي، وقيل لأمية بن أبي الصلت.

(٩٣) إعراب القرآن ٢/ ٢١٦.

(٩٤) سورة الزلزلة/ الآيتان ١- ٢.

(٩٥) ينظر: تفسير القرطبي ٤/ ٤٨٥.

(٩٦) سورة النساء/ من الآية ٣٤.

(٩٧) سورة المؤمنون/ الآية ٦٧.

(٩٨) سورة الفرقان/ الآية ٣٠ .

(٩٩) سورة المدَّثِّر/ الآيتان ٤- ٥ .

(١٠٠) سورة المزَّمِّل/ الآية ١٠.

(١٠١) سورة الأنفال/ الآية ٣٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. **الإتقان في علوم القرآن:** أبو الفضل جلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد آبن أبي بكر بن عُثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن هُمام الدِّين السيوطي، الطولوني، الشافعي، المصري (٨٤٩- ٩١١هـ)، دار الإيمان (الإسكندرية- مصر)، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢. **أحكام القرآن:** لأبي بكر محمد بن عبد الله، المعروف بـ(**آبن العربي**)، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط٢، ١٩٥٧م.

٣. **إحياء علوم الدين:** للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، حققه وخرَّج أحاديثه: محمد سعيد محمد، دار البيان العربي (بيروت– لبنان)، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٤. **إعراب القرآن:** لأبي جعفر بن محمد بن إسماعيل النحَّاس (ت٣٣٨هـ)، اعتنى به الشيخ خالد العلي، دار المعرفة (بيروت– لبنان)، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م.
٥. **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين):** لخير الدين الزركلي (...– ١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين (بيروت– لبنان)، ط١، ١٩٨٢م.
٦. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل،** لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، الشهير بـ**(البيضاوي)** (ت٧٩١هـ)، دار الجيل (بيروت– لبنان)، ط١، ١٩٨٢م.
٧. **البحر المحيط:** لأبي حيان، وبهامشه **(النهر الماد والدرّ اللقيط من البحر المحيط)،** لتلميذه أحمد عبد القادر القيسي، مطابع النصر الحديثة (الرياض– المملكة العربية السعودية)، ١٩٥٦م.
٨. **البرهان في تناسب سور القرآن:** للإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (٦٢٧– ٧٠٨هـ)، تحقيق وتقديم: الدكتور سعيد الفلاح، الجامعة الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٩. **التعريفات:** لأبي الحسن للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني، الحنفي (ت٨١٦هـ)، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي الصابوني، دار الكتب العلمية (بيروت– لبنان)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٠. **تفسير القرآن العظيم،** للحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، إشراف: محمد شرَّاد الناصري، دار مكتبة الهلال (بيروت– لبنان)، ط١ (د.ت).
١١. **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب:** للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين آبن الحسن بن علي التميمي، البكري، الرازي، الشافعي (ت٦٠٤هـ)، قدم له: هاني الحاج، وحققه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية (القاهرة– مصر)، ٢٠٠٣م.

١٢. **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، راجعه وضبطه وعلَّق عليه: الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي، وخرَّج أحاديثه: الدكتور محمود حامد عثمان، دار الحديث (القاهرة– مصر)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٣. **حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي، الموسوم: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** لعبد الله بن عمر الشهير بـ(القاضي البيضاوي)، مطبعة مصطفى محمد (القاهرة– مصر)، (د.ت).

١٤. **رسالة في السير والسلوك:** لمحمد مهدي الطباطبائي، شرح وتحقيق وتعليق: حسن مصطفوي، دار الروضة (بيروت– لبنان)، ١٩٩٤م.

١٥. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لأبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار الفكر (بيروت– لبنان)، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٦. **سنن الترمذي:** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، السلمي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي (بيروت– لبنان)، ط١ (د.ت).

١٧. **السيرة النبوية:** لأبي محمد جمال الدِّين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، المعافري (...– ٢١٣هـ/ ...– ٨٢٨ م)، تحقيق: مصطفى السقَّا، وإبراهيم الأبياري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركائه (القاهرة– مصر)، (د.ت).

١٨. **السيرة النبوية:** تأليف الدكتور علي محمد الصلابي، دار المعرفة (بيروت– لبنان)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٩. **الصِّحاح (تاج اللُّغة وصِحاح العربية):** لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، الفارابي (...– ٣٩٣هـ/ ...– ١٠٠٣م)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين (بيروت– لبنان)، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٠. **صحيح البُخاري (الجامع الصحيح):** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم آبن المُغيرة البُخاري، الجُعفي (١٩٤– ٢٥٦هـ/ ٨١٠– ٨٧٠م)، تحقيق: مصطفى ديب البغا (أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة– جامعة دمشق)، دار آبن كثير (بيروت– لبنان)، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢١. **صحيح مُسلِم:** لأبي الحسين مُسلم بن الحجاج بن مُسلم القُشيري، النيسابوري (٢٠٤- ٢٦١هـ/ ٨٢٠- ٨٧٥ م)، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت- لبنان)، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٢. **صفوة التفاسير**، لمحمد علي الصابوني، دار الفكر (بيروت- لبنان)، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٣. **غيث النفع في القراءات السبع:** لولي الله سيدي علي النوري الصفاقسي، مطبوع بهامش سراج القارئ شرح حرز الاماني (**الشاطبية**)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركائه (القاهرة- مصر)، ط٣، ١٣٧١هـ.

٢٤. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري:** للإمام الحافظ أبي الفضل شهاب الدِّين أحمد آبن علي بن محمد بن حجر الكناني، العسقلانيُّ (٧٧٣- ٨٥٢هـ/ ١٣٧٢- ١٤٤٩م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركائه (القاهرة- مصر)، ١٩٥٥م.

٢٥. **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، دار الشروق، ط٣٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٦. **القاموس المحيط:** للعلاَّمة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (...- ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم عرقوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت- لبنان)، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٧. **الكتاب لسيبويه** (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار القلم (بيروت- لبنان)، ١٩٦٦م.

٢٨. **الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل:** لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الخوارزمي، المعتزلي (٤٦٧- ٥٣٨هـ/ ١٠٧٥- ١١٤٤م)، مطبعة البابي الحلبي، (القاهرة- مصر)، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٢٩. **الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني، القريمي، الكفوي (...- ١٠٩٤هـ/ ...- ١٦٨٣م)، مقابلة على نسخة خطية أعدها للطبع: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المضري، مؤسسة الرسالة (بيروت- لبنان)، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٠. **لسان العرب:** للعلاَّمة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم بن علي بن منظور الأنصاري، الرُويفعي، الإفريقي، المصري (٦٣٠- ٧١١هـ/ ١٢٣٢- ١٣١١م)، دار الفكر (بيروت- لبنان)، ط١ (د.ت).

٣١. **مباحث في علوم القُرآن:** الأُستاذ الدكتور صُبحي الصالح (أُستاذ الإسلاميات وفقه اللغة في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية)، دار العلم للملايين (بيروت- لبنان)، ط١٨، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣٢. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الشهير بِـ(تفسير آبن عطية):** للإمام القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف آبن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن خُفاف الأندلسي، المغربي، الغرناطي، المحاربي (٤٨١- ٥٤١هـ)، تحقيق: عبد العالم السيد إبراهيم، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

٣٣. **مختار الصحاح:** للشيخ الإمام شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (...- ٦٦٦هـ)، دار الرسالة (الكويت)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٤م.

٣٤. **مختصر تفسير آبن كثير:** لمحمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم (بيروت- لبنان)، ١٩٨١م.

٣٥. **معاني القرآن:** لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، قدَّم له، وعلَّق عليه، ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان)، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٦. **معجم الفاظ القرآن الكريم نادرة الاستعمال في لغتنا المعاصرة (دراسة لغوية تفسيرية):** الأستاذ المساعد الدكتور نشأت صلاح الدين حسن، والأستاذ المساعد الدكتور حامد عبد الهادي حسين، مطبعة ديوان الوقف السني (بغداد- العراق)، ٢٠٠٦م.

٣٧. **معجم القراءات القرآنية:** إعداد الدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور عبد العال سالم مكرَّم، دار الأسوة للطباعة والنشر (طهران- إيران)، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٣٨. **المعجم المفهرِس لألفاظ القرآن الكريم:** لمحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة نويد إسلام، ١٤٢٥هـ.

٣٩. **الموسوعة الشعرية:** إعداد: الأُستاذ الدكتور حاتم الضامن، وآخرين، إشراف: محمد أحمد السويدي، المجْمع الثقافي (أبو ظبي- الإمارات العربية المتَّحدة)، الإصدار الثالث، ١٩٩٧- ٢٠٠٣م.

٤٠. **موطأ الإمام مالك:** للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، الحميري (٩٣- ١٧٩هـ/ ٧١٢- ٧٩٥م)، برواية أبي مصعب الزهري المدني، تحقيق: الدكتور بشَّار عواد معروف (رئيس الجامعة الإسلامية ببغداد سابقاً)، ومحمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة (بيروت- لبنان)، ط٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤١. **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور:** للإمام المفسِّر بُرهان الدين أبي الحسين إبراهيم ٱبن عمر البِقاعي (٨٠٩- ٨٨٥هـ/ ١٤٠٦- ١٤٨٠م)، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة- مصر)، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.